



السبت 17 أبريل 2010 04:03 م

ألقى الإمام البنا كلمةً جامعةً في المؤتمر الشعبي للإخوان المسلمين المنعقد في 28 شوال سنة 1364هـ- 4 أكتوبر 1945م، وكان هذا المؤتمر بعد مؤتمر المناطق والشعب، والذي قرر أن تعقد عدد من المؤتمرات بالتعريف للقضية الوطنية، وما يُحاك لها، والدعوة لمقاومة المحتل.

يقد انعقد هذا المؤتمر في المركز العام للإخوان بالحلمية الجديدة، وحضره عددٌ غفيرٌ من الإخوان والشخصيات العامة.

نص كلمة الإمام البنا

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها السادة الفضلاء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

تجتمعون الليلة في مؤتمركم الشعبي الأول بالقاهرة للنظر في حقوقنا القومية، وفي هذه الظروف الكثيرة الجديدة التي تُحيط بنا، وتتناول كل شئوننا الحيوية، ولا غرو أن تكونوا أسبق الناس إلى مثل هذا الاجتماع، فلعلكم أكثرهم شعورًا بالتبعة في هذه الأيام.

أيها الإخوة الفضلاء:

جدني بينكم الليلة شديد التأثر بتلك العاطفة التي تهز نفسي كلما وقفت مثل هذا الموقف بين الإخوان.

عاطفة الشعور بما ألقى على كواهلنا من تبعات جسام: هذه الآلاف الكثيرة، عشرون أو ثلاثون أو أربعون ألفًا من خيرة القلوب في هذا الوادي المبارك، ومن خلاصات أهله وساكنيه على اختلاف طبقاتهم وأعمالهم وثقافتهم من: المهندس، والمدرس، والطبيب، والمحامي، والعامل، والزارع، والتاجر، والكاتب، والشاب، والكهل، والفتى، والشيخ.

كل هذه القلوب قد اجتمعت بكلمة ولكلمة، وأسلمت قيادتها طائفة مختارة، وركزت آمالها فرحة مستبشرة في الدعوة وقيادتها، ومع هذه الآلاف المجتمعة آلاف أضعافها في مدن مصر وقراها وصحاري وادي النيل المبارك وسهوله ترهف أذناها لتستمع كما تستمعون، وتحقق بأعينها لثرى كما تنظرون، وتخفق قلوبها لما تقولون وما تقررون، ويترقبون الكلمة التي تقولونها ليكونوا معكم من المنفذين العاملين، ومن وراء هذه المجموعات الكريمة ملايين من العرب والمسلمين يشاركونكم شعوركم، ويأملون كما تأملون، ويعملون لما تعملون.

كل هذا- أيها الإخوة الفضلاء- أحسه إحساسًا قويًا، وأشعر به شعورًا عميقًا، وأتمثله وأتصوره في أثقل التبعة وأعظم جسامه

المهمة، ولكنني أمل بتأييد الله وتوفيقه وجميل مناصرته وتأييدكم أن تكون قيادة الدعوة عند حسن ظنكم وجميل أملككم- إن شاء الله:- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية 143).

ما الدعوة فهي لله وهو عليها حفيظ، وبأبي الله إلا أن يتم نوره.

دين وسياسة

أيها- الإخوة الفضلاء- لقد استمعتم إلى خطباء مؤتمر الكرام، فاستمعتم إلى من يتحدث إليكم عن المعاهدة المصرية الإنجليزية، وعن السودان ووطنكم الجنوبي، وعن مؤتمر سان فرانسيسكو وميثاق الأمم المتحدة، وعن الأرصدة الإسترلينية، والمطالب الاقتصادية، وعن الوحدة العربية والجامعة الإسلامية والعالمية الإنسانية، وعن الوعي الديني والقومي خلال ربع القرن الأخير.

سمعتم هذا كله، وكنتم فضلاء كرامًا واعين؛ إذ استمررتم أكثر من ساعات طوال تتابعون بأذانكم وأذهانكم هذه البحوث الغنية الخالصة متابعة الفاهم المشوق، فشكر الله لكم جزاكم خيرًا.

ولقد خطر لي وأنا بينكم أستمع لما تستمعون له أن فائلاً: لا بد أن يقول، وهامسًا لا بد أن يهمس: أهذه دار الإخوان المسلمين؟ وما لدار الإخوان المسلمين وعلاج هذه الشئون، وحسبها أن تتحدث إلى الناس عن فضائل القرآن الكريم، وأحكام الإسلام الحنيف من فرائض الوضوء، وأركان الصلاة، وروائع الأخلاق، وعرر الآداب؟ أما هذا فكلام السياسيين، وإنما يستمع الناس إليه في دور الأحزاب ومنتديات الهيئات السياسية، وشتان ما بين الدين والسياسة، وعلى رجال الدين أن يتجنبوا هذه الميادين، ويقصروا جهودهم على ما فرغوا أنفسهم له.

وخطر لي أن خاطرًا كهذا لا بد أن يكون قد دار أو هو يدور برءوس بعض الذين رأوا جمعنا هذا، أو سيفرءون عنه، وأبادر فأقول لهؤلاء جميعًا: لا تأخذوا بمبادئ الرأي ومبهم القول، ولا تجاروا العرف الخاطئ والاصطلاح الجائر، ولكن فكروا وحددوا فإن التفكير السليم والتحديد الدقيق يرفع بين الناس الخلاف، أو يقرب على الأقل بين وجهات النظر.

فإن أردتم أن الإسلام دين لا تتناول أحكامه الشئون السياسية في الداخل والخارج من حيث تنظيم الحكومة، والصلة بين الحاكم والمحكوم، وما يتبع ذلك من حقوق وواجبات، واقتراض حرية الأمة الإسلامية وسيادتها وعزتها إلخ.. فذلك جهل بالإسلام، وظلم لأحكامه وشريعته الشاملة التي جاءت تنظم شئون الدنيا والآخرة، وتحدد العلاقات في المجتمع الإنساني أفضل تحديد.

وإن أردتم أن من الخير أن يختص بالشئون الروحية والخلقية والعبادية، والخدمات الإنسانية العامة جماعة، وينصرف إلى حذق السياسة والبراعة في شئونها ومعالجة أمورها جماعة، وأن يتجنب الأولون ما استطاعوا أعاصير السياسة وزوابعها ليتوفر لهم الهدوء والاستقرار الذي لا بد منه لينتجوا في ناحيتهم إنتاجًا حسنًا.

وأن يعينهم الآخرون على هذا بأن يوفروا لهم هدوءهم، ويتعدوا بهم عن الطنون الخاطئة والأحقاد الفاسدة، ويساعدوهم ما استطاعوا بالتشريع والسلطة التنفيذية وهي في أيديهم، ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، على ألا يحرمهم ذلك حقه الطبيعي من المشاركة في الشئون الوطنية والقيام بالواجبات القومية فذلك رأي حسن، ومذهب من القول والعمل جميل في أمية استقامت فيها الأوضاع، واستقرت فيها النظم، ووزعت مهامها على الكفاءة الأمناء من أبنائها، أما في شعب مجاهد يناضل في سبيل حريته، ويكافح لينال حقوقه المغصوبة وخبراته المسلوبة، وقد سنحت أمامه الفرصة المناسبة، والوقت الذي إن ضاع منه فلن يعود إليه، فإن الواجب المحتوم بنادي كل هيئة، وبهيب بكل عامل مهما كان ميدانه أن يكون هدف الجميع واحدًا، هو استخلاص الحقوق، والنضال الكامل المجتمع في سبيلها، وكل تقصير في ذلك يعتبر جريمة لا تغتفر.

ولهذا يرى الإخوان أول واجباتهم في هذا الطرف أن ينتجوا بكل قواهم إلى هذا الميدان الوطني، وهم مع هذا لن يهملوا أبدًا الميدان الاجتماعي، بل هم أقروا له نظامه، وأعدوا له عدته، ووفروا له استقراره حتى لا يحرم الناس ثمرته الطيبة وآثاره النافعة.

وأما إذا تمسكتم بهذا العرف الذي جرى عليه الناس، وقرره في أذهانهم وأوضاعهم ذوو الأغراض والمصالح بأن مما يزري برجل الدين والهيئات التي تعمل باسم الدين أن تتعرض للواجبات الوطنية وتجاهد في سبيلها، وأن مما يزري كذلك برجل السياسة

وينتقص من نضجه السياسي ان يكون متديناً يساهم في الهيئات التي تعمل للدين ويعين على نجاحها، فذلك عرفٌ خاطئ، وتوجيه ظالم لا نقره نحن الإخوان المسلمين، ولا نعترف به، والإسلام الحنيف من هذه الوصمة بريء، وهو الذي يفرض على المسلم أن يكون رجل الحياة المجاهدة النشيطة في كل مكان، وفي كل ميدان.

بين الشؤون الداخلية والشؤون الخارجية

أيها الإخوة الفضلاء...

قبيل هذا الاجتماع تقدّم إليّ بعض الغيورين بمذكرات في الإصلاح الداخلي، وطلب إلى المركز العام في نهايتها أن يكون من موضوعات المؤتمر بحوث في الإصلاح الذي نحتاج إليه أشد الاحتياج، فنحن في حاجةٍ إلى علاج مشاكل التعليم والاقتصاد والأسرة، ومستوى المعيشة بين الفلاحين والعمال وغيرهم من طبقات الأمة، والنظر في شؤون الزراعة والصناعة والتجارة والنقل والثروات المختلفة، والاهتمام الكبير بمشكلة الأخلاق التي تأثرت إلى أكبر حدّ بهذه الموبقات الفاشية، والأوضاع الفاسدة، والعوامل الكثيرة المحيطة.. إلى غير ذلك من وجوه الإصلاح الداخلي.

نحن لن نغفل أبداً قيمة هذا الإصلاح، ولا شدة الحاجة إليه، ولا ضرورة وضع المناهج المفصلة الدقيقة في كل نواحيه.

لن نغفل أبداً هذه المعاني ولن نهملها، ولقد تناولها نظام الإخوان الأساسي فأشار إلى أهميتها، وجعلها غرضاً أساسياً مستقلاً من أغراضهم، كما وضعت رسالة المنهج منذ سبع سنوات أو تزيد في هذه الناحية، وسيضاعف الإخوان اهتمامهم بهذه المعاني في القريب إن شاء الله.

ولكن الأمة- كما قلت سابقاً- أمام فرصة سانحة ووقت محدود إن أفلت ومضى فلن يعود، وهو وقت التفكير والعمل لتقرير مصير الشعوب وأوضاع الأمم، والاعتراف بما لها من حقوق، وتحديد ما عليها من واجبات.

هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى فنحن لا نستقيم لنا وضع ولن ينصلح لنا حال ولن نُنقذ لنا خطة إصلاح في الداخل ما لم نتحرر من هذا القيد الثقيل العاني قيد التدخل الأجنبي.

وما لم نحصل على استقلالنا الحقيقي فإن هذا الاستقلال الناقص الذي يفتح أبواب التدخل الأجنبي على مصاريعها لكل من أراد أن يقضي على كل مشروع نافع، ويحول دون تنفيذ كل فكرة صالحة، ويسد عليها كل منافذ الخير، إن أردناه فلا بد من أن تتكاتف الجهود على تحطيم هذا القيد حتى نعمل لإصلاح شؤوننا الداخلية في حرية كاملة، ومن قرأ تقرير العرفة التجارية الإنجليزية يعلم ماذا يُراد بنا في الناحية الاقتصادية، وإلى أي حدّ يحول هذا التدخل دون كل إصلاح منشود، ويقضي على كل عملٍ نافع في مهده، فلنجاهد في سبيل الحرية- أيها الإخوة- فهي وحدها أساس كل إصلاح.

حقوقنا القومية

أيها الإخوة الفضلاء:

سوف لا أحدث إليكم حديثاً مطولاً عن هذه الحقوق بعد أن تناولتها بشيء من البيان في اجتماع جمعيتنا العمومية الماضية في شوال، وبعد أن تناولها الإخوان الخطباء بالشرح والتفصيل من الوجهة الفنية فأبانوا لكم هذه الحقائق.

إن السودان هو وطنكم الجنوبي بحكم الحقيقة التاريخية والجغرافية، وبحكم الروابط التي لم يتوفر مثلها لكثيرين من الأمم الموحدة قديماً أو حديثاً، وبحكم المصالح المشتركة والمشاعر المتبادلة، وإن المعاهدة لم تعد أساساً صالحاً للعلاقات بين مصر وبريطانيا بعد أن تعيَّرت الظروف والأوضاع تعبيراً كلياً، وذهبت من الوجود هيئات ودول، وحلَّت محلها هيئات ودول أخرى، وتناول التطور الجديد كل نواحي الحياة الفكرية والاقتصادية والعسكرية.

إن ميثاق الأمم المتحدة الذي أسفر عنه اجتماع سان فرانسيسكو ميثاق ناقص في ذاته لا يحقق الغاية المقصودة بها التحقيق الكامل، وتصديقنا عليه مع بقاء المعاهدة وقيام الجامعة العربية ولكل تبعاته والتزاماته يضعنا في موضع مبهم تتناقض فيه الالتزامات، وتتعارض الواجبات، فلا بد من التفكير في هذا الوضع، ولا بد أن نأخذ لأنفسنا الحيلة قبل أن نُسجّل على أنفسنا هذا الارتباط الجديد.

وإن القيود الاقتصادية التي قبلناها إبان الحرب مساهمةً منا في المجهود الحربي، إلى جانب التساهل العجيب من الحكومات المتعاقبة الذي بلغ حد الغفلة والإهمال قد أضربنا ضررًا بليغًا، وكان عن نتيجة السماح للبنك الأهلي بإصدار أوراق لا رصيد لها من الذهب أن صار الجنيه المصري لا يساوي ريبالاً واحداً، وأن صار العامل المصري الذي يقضي يومه عاملاً مجاهدًا كادحًا في سبيل الحصول على عشرين قرشًا مثلاً لا يحصل في الحقيقة إلا على ثلاثة قروش أو أربعة، وهي ما تساويه هذه العشرين عملياً، وأن الفلاح الذي يكافح عامه ثم يبيع حاصلاته لا يحصل في الحقيقة إلا على خمس القيمة أو سدسها، فنحن في ضائقة اقتصادية لا حدَّ لها، وإذا أضيف إلى هذا ما يُراد بنا من تقييد الإيراد والتصدير، وخنق حرية التجارة والصناعة، وغزو البلاد بالمهاجرين من كل جنس، رأينا أنفسنا أمام كارثة محققة تهدد كياننا الاقتصادي، أعني: تهدد حياتنا في الصميم، ومن الواجب أن نُفكر في علاج هذه المشكلة علاجًا حاسمًا، وأن تعيننا بريطانيا على هذا العلاج؛ إذ إنها كانت السبب المباشر لهذا الوضع.

وإن دعوتنا إلى تقوية الوحدة العربية، وتحرير الشعوب الإسلامية، أمر تفرضه علينا مصلحتنا الوطنية ورباطتنا القومية، كما يفرضه كذلك الشعور الإنساني الذي يجب أن يؤمن به كل إنسان في هذا الوجود، ويفرضه الإسلام ويحتمه ويدعو إليه.

إبان لكم الخطاب كل هذا وطمأنوكم بعد ذلك على أن هذا الوعي الروحي الوطني- وقد نما وازدهر، وبدا قويًا رائعًا في نمو فكرة الإخوان المسلمين وازدهارها- لم يعد يخشى عليه بإذن الله، والله غالبٌ على أمره.

ولا أريد أن أزيد على بيان الإخوان بيانًا، ولكني أقرر بمناسبة هذا الاجتماع أن حقوقنا هذه لا مغالاة فيها ولا تعسف؛ فهي حقوق طبيعية.. نحن لا نطلب حقَّ أحد، ولا نريد أن نعتدي على أحد، وإن المبادئ الإنسانية التي أعلنتها الدول الكبرى إبان هذه الحرب، والتي قررتها أبسط مبادئ العدالة منذ عرف الإنسان الحق والعدل لتفرض على كل منصف أن يسلم لنا بهذه الحقوق، ولهذا نحن لا نقبل فيها مساومة، ولن نخدع عنها بمعسول القول ومبتكر الألفاظ، ولن نرضى فيها بالوعود الخالية، وسنظل نكافح حتى نصل، وسنصل إن شاء الله.

ولقد اتجهت الأمة كلها هذا الاتجاه، وأعلنت رأيها في ذلك بوضوح وصراحة على اختلاف طبقاتها وهيئاتها، بل إن الأمم العربية والإسلامية كلها قد اشتركت في هذا المعنى، فمنها من امتشق الحسام فعلاً في سبيل حريته كما فعلت إندونيسيا، ومنها من ينتظر كما تدل على ذلك البوادر في فلسطين وتركيا، ومنها من أتر الهدوء والسكينة على فوران النفوس وغلبان القلوب، ولكنها الحكمة تلجم نزوات العواطف بخطر العقول حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً كما في مصر، ومنها من يصطلي جحيم العدوان الظالم ويقدم على مذبحه القرابين الكثيرة من الأنفس والديار والأموال كما في الجزائر ومراكش، ولن تخمد هذه اليقظة أبدًا حتى تبلغ مداها بإذن الله، والأمة التي تريد أن تحيا لا يمكن أن تموت.

من وسائلنا

قالوا: إن الإخوان المسلمين سيحضون على الثورة، وسيكون وقود هذه الثورة الأجنبي في مصر واليهود والأقليات غير المسلمة، وقالوا: إن يوم 4 أكتوبر وهو يومكم هذا، وإن يوم 6 أكتوبر من بعده سيكون يومًا هائلًا رهيبًا في تاريخ مصر؛ إذ إن الطلبة والتلاميذ في المدارس سيقومون بتخريبها وتخريبها، وسيطلقون منها إلى الشوارع يعيّنون فيها الفساد، وخابرنى بعض المتصلين بمديري الشركات والمصانع يقول: إن كثيرًا من رجال هذه الشركات يخشى هذا اليوم أشد خشية، وأنهم يريدون أن يفهموا الإخوان المسلمين أن هذه الشركات والمصانع فيها عمال مصريون، وأنهم لا ينتفعون من ورائها كما ينتفع أولئك، وأنهم يحبون المصريين ويتعاونون معهم، وهم لذلك يودون من الإخوان ألا يتعرضوا لحياتهم بعدوان، ولا مصانعهم ومكاتبهم بتخريب في هذا اليوم العصيب.. إلى هذا الحد توهم الناس أن مصر على وشك الثورة.

ولعلمهم معذورون في هذا التوهم؛ فإن إهدار حقوق الأمة والتغافل عن مطالبها وتناسي شعورها إلى هذا الحد ليؤدي إلى بلبلة الخواطر، وجرح الصدور، وذلك وقود الثورة ما لم يتقدم الغيرون للعلاج قبل فوات الأوان.

ولكن مصر البلد الصبور الوفور، والإخوان المسلمين هم الهيئة الحكيمة المؤمنة المنظمة لم تثر يوم 4 أكتوبر، وها هو مؤتمرهم الجامع يقارب نهايته في نظام وإحكام كأنما نحن في صف الصلاة، ولا غرو فنحن في صف الجهاد، وقوام المجتمع الإسلامي دائمًا نظام وطلاعة ﴿قَاوَلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ (محمد: من الآيتين 20 و21)، وسوف يكون هدوء واستقرار يوم 6 أكتوبر كذلك بإذن الله؛ لأن مصر مطمئنة إلى عدالة قضيتها وأحقية مطالبها، وهي لم تأس بعد من نفسها ولا من غيرها حتى يدفعها اليأس إلى الثورة.

سنهدأ مصر حيثًا من الزمن نعطي فيها الفرصة للمسئولين في الداخل والخارج ليفكروا ويعملوا في هدوء واستقرار، وليس هدوء مصر في هذا هدوء ضعف أو استكانة أو غفلة أو نوم، ولكنه هدوء المؤمن المطمئن إلى حقه الواثق بنفسه، والأمر بيننا وبين من ينكر علينا حقنا أمر عمل وإجراءات، لا أمر مخادعة وتخريب، فإننا على الحق، وقد عرفناه واستمسكنا به واتجهنا إليه، ولا

يمكن أن يقوم الباطل إلا في غفلة الحق، وقد صحا الحق فلا غفلة، فلا بد أن ينتصر ويطهر، ولا بد أن يزهق الباطل ويقهر **﴿بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾** (الأنبياء: من الآية 18)، ولم تعد يقطننا الحالية بقطعة شعور وقتي ينتهز فرصة لنثور وندمر، ولكنها بقطعة وعي وإيمان حقيقي بدعونا دائماً إلى أن نعمل ونستعد بعد أن نُفَكَّرَ ونُدبَّرَ، ولهذا نحن مطمئنون إلى النتيجة، واثقون من النصر.. **﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** (الحج: من الآية 40).

أيها الإخوة الفضلاء..

إن أول وسائلكم: الإيمان القوي بهذه الحقوق، وتعرفها بالإجمال والتفصيل، وحفظها والمحافظة عليها، فتعرفوا جيداً حقوقكم وأهدافكم، وآمنوا بها من أعماق قلوبكم، ولا تقبلوا فيها مساومة ولا جدلاً، ثم انشروا هذا الإيمان في كل نفس، وصلوا به إلى كل قلب، وستعمل قيادة الإخوان على ذلك، وستكافح هذه الأمة الوطنية مكافحة لا تدع لها وجوداً، وستدفع بدعاة الإخوان وشباب الإخوان إلى القرى والنجوع والعرب والكفور والمدن والأمصار ليذيعوا في الشعب حقه وليجمعوه عليه، وستكون الحقوق الوطنية سوزاً تحفظ، وأناشيد ترتل، وأورادا تردد، وستحفظها للناس كما نحفظها فاتحة الكتاب يقرأون: **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)﴾** آمين (الفاتحة)، ويقرءون بعدها الجلاء والسودان والدين والقناة والحربة والاستقلال والوحدة العربية والجامعة الإسلامية وفلسطين الشهيدة وإندونيسيا المجاهدة والمغرب العزيز وإخواننا من المسلمين في كل مكان.. سيكون ذلك ورداً وطنياً يُتلى في الصباح والمساء، وسيكون قانوناً شرعياً يردد في كل صلاة حتى يرفع الله عنا هذه النوازل القاتلة، نوازل التدخل والاستعمار والاستعباد.

ثم حاولوا أن تجمعوا كلمة الشعب على هذه المطالب والحقوق. وأن تصرفوه عن كل ما عداها من الغايات. تتردد في الناس الآن نغمة وحدة الزعماء وجمع كلمة الزعماء، فإذا لم تجمع كلمة الزعماء فماذا نصنع؟ أنقف مكتوفين حتى تنهيا لهم وسائل الاجتماع؟!

لا تشغلوا أنفسكم بهذا- أيها الإخوان- فالوقت أثنى والعمل أنفع، اجتمعوا الشعب على الأهداف والحقوق، واصرفوه عن كل ما سواها من معاني المهاترة والانقسام، وأفهموا الناس ضرر الخوض في هذا الهراء الذي لا يُجدي ولا يفيد، وستجدون في الناس استعداداً لهذا إن شغلتموهم به، فإن اليد الفارغة تسارع إلى الشر، والرأس الخاوي معمل الشيطان! فاشغلوا الفراغ في نفوس الناس بالجد من الأمور، وبدراسة هذه الحقوق، وأفيضوا فيهم معاني هذه الدراسة الناضجة، فإذا اجتمع الشعب على ذلك فقد قضى الأمر، وستدع للزعماء الصف الأول، وستدعوهم إلى القيادة، وستقول لهم: هذا هو الشعب وهذه هي الطريقة، فهيا سيروا على بركة الله، ونحن قوم مؤدبون بأدب الإسلام، ونعلم قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "لا تزال أمتي بخير ما وقر صغيرها كبيرها، ورحم كبيرها صغيرها"، فلن نتقدمكم ما تقدمتم، ولن نخالفكم ما استقمتم، وعليكم الجدا ما استطعتم، فإذا فعلوا فذاك وإلا فقد تخلوا عن الأمانة، وجرّدوا أنفسهم من معنى الزعامة، ولا بد أن تجد الراية حملتها، وهم موجودون **﴿وَأِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾** (محمد: من الآية 38).

ثم ادأبوا على المطالبة بحقوقكم والدعوة إليها بكل سبيل من الاجتماعات والنشرات والبيانات والبعثات في غير كليل ولا سامة، حتى يتم بذلك معنى الإعدار قويمًا قوياً لقد أعذر من أئدر.

إذا أفادت هذه الوسائل، فعاد الضمير الإنساني إلى رشده، وأنصفكم غيركم من نفسه، فلا أحب إلينا من ذلك ونحن الذين نقرأ قول الله: **﴿وَأِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾** (الأنفال: من الآية 61)، وإلا فالمقاطعة والمقاومة السلبية، وسوف لا نخفق في هذه المرة إن أردنا ذلك أو قررناه، فإن هناك الآلاف والملايين من القلوب المؤمنة والألسنة المفصحة ستجد كلها في هذا الميدان في كل مكان حتى يأتي أمر الله، ومن بعد ذلك رد العدوان بالعدوان **﴿فَمَن اِغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اِغْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾** (البقرة: من الآية 194)، ولن نكون في ذلك ظالمين بل مدافعين، وحق الدفاع معترف به ومقرر في كل الشرائع والقوانين، ولا خير في الحياة مع الذلة، ولن يجتمع الإيمان والذل في قلب مؤمن صادق قد تذوق حلاوة الإيمان، وأدرك ثبوتية الشهادة، وقدر لذة الجهاد.

تلك بعض وسائلنا- أيها الإخوان- من واجبنا ومن واجب غيرنا من الهيئات أن نجد أنفسنا لتحقيقها وإنفاذها، ومن واجب الشعب أن يعد نفسه لتلقيها والتجمع من حولها، وعلى الحكومات أن تفسح المجال للدعوة حتى تنتشر، وللهيئات حتى تعمل إن لم تستطع أن تتقدم في ذلك الصغوف وتغود غيرها من العاملين، وعلى الجميع أن يتفألوا وألا يهنوا ولا يحزنوا، فالنصر للصابرين والعاقبة للمتقين.

"وبعد"- أيها الإخوان- فإنني قوي الأمل في النصر- إن شاء الله؛ فإننا على الحق، والحق مؤيد من الله، وقد اتجهت الأمة واستيقظت، فلن نخدع بعد اليوم، وفي مصر حيوية جارفة حين تفيض لا يقف في طريقها شيء، وملك شباب وطني غيور يحب وطنه ويتمنى له كل خير، وفي مصر بعد ذلك الإخوان المسلمون، فاعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم، والسلام عليكم

* المصدر: مجلة الإخوان المسلمين النصف شهرية العدد (74)، السنة الثالثة، 14 ذي القعدة 1364هـ- 20 أكتوبر 1945م.

 <https://ikhwanonline.com/article/63528>